مشروع الأممية التفكيكية في خطاب **الحداثة السياسية المعاصرة**

الدكتور جاسم بديوي
جامعة بغداد / كلية الآداب

يبدو جديدا في مشهدنا الثقافي وأدبياته أن يطرح التفكيك بطريقة أكثر من كونه إ ِ لية قد تندرج في إطار ممارسات النقد الأدبي ، والذي يبدو هو الآخر يعاني من حالة عدم استقرار مفاهيمه وتحديد ملامح تشكيله، شأنه شأن بعض فلسفات ما بعد الحداثة رغم المعروف ا نه، اي النقد الأدبي، قد استسقى من الهامات تلك الفلسفات، لاسيما النظريات الألسنية والبنيوية ونظريات النقد الثقافي، ر لعل مفاهيمنا وذهنياتنا الأدبية مسؤولة عن تصور الاغتراب التفكيكي عن الشأن الاجتماعي والسياسي، ويزيد على ذلك مشكلات النقل والترجمة ووعورة المصط لح التفكيكي وهذا ما سوف لن نتداوله في محلنا هذا، لأننا في صدد تقيم مشاركة التفكيكية بوصفها فلسفة وإستراتيجية في الشأن العام وتطورات الفعل والحدث الاجتماعي والسياسي والثقافي .

تأتي فاعلية المشاركة في التفكيك في رأينا منذ انطلاقها ، ولم تك يوما من الأيام مجرد نظرية نقدية تتناول النصوص بالمعنى النقدي التقليدي ، يظهر ذلك في أنساقها المناوئة لسلطة التمركز المنطقي والميتافيزيـ ؛ ، وهي، في لجة محاولتها الإفلات من النسق الميتافيزيق ؤ ، أحدثت ترسانة تأويلية ضخمة في نطاقاتها وأجهزتها ومفاهيمها، وهذا ما ما اهلّها الى تبوأ ر تبة الغموض المنهجي، غير ان هذا الغموض سرعان ما يضمحل في المواقف السياسية والاجتماعية، ليصل، في كثير من الأحايين، الى ما يمكن إدراجه في سياق ردود الأفعال المباشرة، لاسيما في ما يتعلق بشؤون الوضع العالمي .

إن الاهتمام السياسي والاجتماعي للتفكيك يتأثر سلبا وإ يجابا، بتغيرات وتحولات الوضع العالمي، نقول سلبا لان هناك أوقاتا مرت كانت فيها الفلسفة التفكيكية تتغاضى عن التعليق على الشأن السياسي الماركسي مثلا، وهو تجنب يتحمل مسؤوليته دريدا ذاته، كما يصرح، في أكثر من مناسبة ، وحدث ان مرت فترة ليست بالقصيرة عاصر فيها التفكيك الحال الشيوعية ولم يسفر المنجز التفكيكي عن إسهام واضح في التعاطي مع حقبة الدولة الشيوعية والحركات السياسية المنبثقة منها، ولعل هذا الجفاء المتعمد لم يكن عن قطيعة، على ما يبدو، بقدر ما

كان عن ارتياب حذر، دفع صاحب التفكيك الى الصمت داخل العاصفة، رغم صعوبته وتعسره، والصمت هنا لا يعني اللامبالاة، بل يعني التشكيك والتحقق النظري ، وهذي سمة تفكيكية بارزة طالما انتشرت في ثنايا النص التفكيكي .

وبالحديث عن التجنبات التفكيكية، وهي عديدة، ثمة تجنب أرجأه دريدا هو الآخر وهو تجنب سؤال الدين ، بما انه ظاهر ة اجت اعية وثقافية وسياسية أيضا، بنفس النبرة التفكيكية المزدوجة التي يتحدث فيها عن الماركسية، لا لمناهضته للحالة الشيوعية ولا للحالة الدينية ، أبدا، وإنما لصعوبة التحديد المفاهيمي لأطرهما ومحدداتهما ، فما الحدود الفاصلة بين الدين واللادين، والماركسية واللاماركسية ، اذ كل الحقول الإنسانية تدين بالبنوة لماركس والوفاء لماركس أصبح طقسا برتوكوليا يفرضه علينا واجب الحداد .

لقد فعلت المتغيرات السياسية المسارعة في العالم فعلتها بالتفكيك وأخرجته عن صمته الاستراتيجي الطويل وأصبح الوضع العالمي لا يحتمل السكوت والصمت، وها ه و ذا قد بعث من جديد حاملا رؤيا تبشيرية وتنويرية ووعظية تهدف إلى إنقاذ العالم من كآبته السياسية، في محاولة أشبه بصحوة الضمير وتأنيبه في آن واحد، إذ تمكنت الهيمنة من الأنساق المعرفية والثقافية وأصبحت متجذرة في الخطاب السياسي للعالم بعد انهيار الشكل الدولتي لشيوعية وظهور خطاب القطبية الواحدية للنيوليبرالية التي تحاول ابتلاع كل شيء أنتجته الثقافة الغربية عبر قرون من الكفاح التنويري .

الأممية التفكيكية. الدوافع التنويرية:

استشرت الهيمنة الواحدية في جسد العالم حاملة أمراض النظرة العوراء، في مفاصل الغرب كله، لاسم ما أوروبا، التي يبدو أنها عاجزة تماما، حتى في إصلاحاتها الموحدة على الصعد الاقتصادية والعسكرية والسياسية على مجاراة هيمنة القرار الأمريكي في مفاصل ارادة اوروبا في سياسات الاتحاد الأوروبي المعتمد أساسا على الاقتصاد الأمريكي ، فضلا عن فرض القوة الأمريكية المارقة الوحيدة المسموح بمروقها) التي يسمح لها بشن الهجوم على الدول المارق) عن الإجماع الدولي، بتفويض من مجلس الامن الدولي .

لقد ألزم التفكيك ذاته منذ البداية بشن حروب تطهيرية على الأنساق المهيمنة المضمرة في الثقافة الغربية ، فكيف الحال بعد أن أصبحت ا لأنساق المضمرة مهددة للوجود البشري عبر فرض أجراءتها وجراحها وأمراضها الرأسمالية، إذ يدعو دريدا، وهو يقرع ناقوس الكارثة، الى التجمع ورص الصفوف تلبية لنداء الكفاح التفكيكي، الذي يشبه الى حد ما كفاح البروليتاريا ضد الرأسمال الأحادي التي خلت له الساحة بعد النه اية الدرامية للصيغة اللينينة

للدولة . وكأنما جاءت نهاية الشيوعية الدولتية لتوقظ التفكيك على نداءات حقبة تنويرية جديدة تحمل سمة المواجهة المباشرة للنضال المعرفي، وكأنما ينهض الضمير التفكيكي يؤنبه ثقل الإرث الأبوي الماركسي، وكأنما طيف الأب ماركس يتجول على أس وار التفكيك، يلزمه بالثار من قاتل أبيه والاقتصاص منه وان الزمن خارج نطاقه [١]، وكأنما هي صحوة التفكيك المتأخرة لتقديم ماركس وبعثه مرة أخرى على سبيل التفكيك فقط . لا على سبيل الأيديولوجيا النضالية القديمة .

إنَ الوفاء التفكيكي لماركس لا يعني ان دريدا يتبنى ب رامج النظرية الماركسية بإبعادها الثورية والسياسية جملة وتفصيلا ، ذلك انه اخذ في الحسبان التجسيد اللينيني والحقبة الستالينية بوصفهما تجسيدا لفساد المشروع الشيوعي، والفكرة السامية، بل يعني ان طروحات التفكيك تلتقي مع ماركس في العديد من المفاصل الجوهرية في الحي اة الثورية والسياسية .

المستندات النظرية للأممية التفكيكية (الوفاء الثوري لم اركس والتحسينات على ضيافة كانط):

تستند الأجزاء العظمى لمرجعيات الأممية التفكيكية على المبادئ الإنسانية للثورة الفرنسية ١٧٨٩، التي عبرها انطلق الإعلان عن حقوق الإنسان في الثقافة الغ ربية متمثلة بقيم العدل والحرية والمساواة وضرورة نشرها عالميا ومن هنا التقت معها النزعة الأممية الماركسية [٧] . التي جاءت على انها تضامن عالمي عمالي بروليتاري فالعمال لا وطن لهم، فلا يسلب منهم ما لا يملكونه على حد وصف البيان الشيوعي [٨]، بعد ان تستولي البرولي اريا على السلطة السياسية، وتنصب نفسها بوصفها امة لا بالمفهوم البرجوازي، وإنما بالمفهوم الاممي لماركس .

ويشمل المفهوم الاممي الماركسي على أبعاد روحية تنويرية أخلاقية، وأبعاد إجرائية، تعمل هذه الأبعاد بالإيمان بقدرة العمال المسلوبين على بعث الإنسانية عبر تض منهم في الطبقة التي ستهيمن على الانقلاب الكوني العالمي لصالح المستلبين على حساب الاستغلاليين، وقلب المعادلة ضد طبقة الرأسماليين المالكة لوسائل الإنتاج إذ ليس للبروليتاري ما يخسره لأنه في الأساس لا يمتلك شيئا إلا عمله الذي سيسخره، هذه المرة في خدمة مثل أعلى ، تنويري عبر التكتل العالمي للإخاء العمالي .

وتبدو هذه الأممية هي اقرب، منهجيا ورؤيويا الى الأممية التفكيكية، كما سنلاحظ، منها إلى الأمميات التي عقدت في الفترات اللاحقة، ونرجع التقارب بين الأممتين الى جملة من العوامل تقف في مقدمتها الباعث النفسي بالاضطهاد والاستغلال، من الهيمنة العالمية للنظام العالمي القديم والجديد وإزاء ذلك تنظر الماركسية الى ضرورة الاصطفاف والاتحاد العالمي ضد جشع الرأسمالية، التي تحرق الأخضر واليابس، وتهلك الحرث والنسل، غير أن الأولى وجدت في تبوأ الشكل الحزبي الشيوعي عرش التضامن الصيغة ا لمثلى في مقارعة الغيلان العالمية، في حين وضع التفكيك أمميته المنشودة خارج الاشتراط الحزبي والإيديولوجي والدولتي، لمقام الزمن الجديد الذي هو بصدده ، لان لكل زمان مقام، إذ لم يفرض علينا ذلك المقام صنع قوالب جديدة تتناسب مع التقلبات العنيفة والتحولات الكبرى، ح يث لا يمكن هذي الأيام لصيغ الدولة التقليدية أن تجاري سرعة ووعورة وشدة انعطافات المتغيرات العالمية، ما دفع التفكيكية الى قناعة ان النضال السياسي في الإطار الاممي المأمول لا يشترط الانضواء تحت لواء حزب شيوعي أو أي حزب آخر [١]، إنما أممية مواطنة إنسانية متقدمة هدفها إنقاذ العالم من الخراب، لان وظيفة الإنقاذ هذه لم تعد اختصاص دولة بعينها من دون أخرى ولا شعب دون آخر كما إن الشأن السياسي لم يعد مقتصرا على أجهزة الدولة والأحزاب فقط بل أصبح شأنا عاما ، لاسيما بعد اندماج المكان بفضل وسائل الاتصالات الحديثة وتكنولوجيا المعلومات التي هي بلا شك أنتاج أنساني مستغل تمتلكه الرأسمالية والتي ستكون سلاحا ضدها، شانه شان بروليتاريا ماركس [٠].

تستنير التفكيكية في صياغة مفهومها عن الأممية بمفهوم كانط عن الضيافة العالمية، وهو مفهوم يستل من الحق في المواطنة العالمية، ولكن دريدا لا ي تفق مع الضيافة الكانطية بشكل مطلق لاسيما في اشتراطات كانط في وضع حدود لاستقبال المواطن الأجنبي لفترة موجزة بوصفه زائرا لا مقيما، والزيارة تأتي عن سابق دعوة، بطبيعة الحال ، و يرى التفكيك ان مرجعيات كانط في شروط الضيافة تعود الى التعددية في الأمم القومية الا سيحية والأوروبي ، والمواطن ليس مواطنا عالميا إلا بقدر ارتباطه بدول – امة، لا لصفته التي يحملها بوصفه مواطنا في العالم، لذلك ليس للأجنبي أن يدعي لنفسه حق الإكرام باعتباره ضيفا، بل حقه مقصور على حق الزيارة [١]، ويرى دريدا ان صيغة المواطن في امة أصبحت عرضة للتمزق والخرق والتغيير ، ما لزم إضافة التحسينات التفكيكية على وفق تصورات جديدة للمواطنة العالمية في حدود ديمقراطية مستقبلية لا تعيقها الدولة الحرفية او حرفية الدولة [٢]، والتي تتعرض الى هزات عنيفة قلبت سافلها عاليها الأمر الذي يدعو الى البحث عن صيغ وأساليب ج ديدة للتضامن والتحالف العالمي، لان المفاهيم السياسية السابقة إنما

عفت عليها الأزمنة، وأصبحت لا تستوفي متطلبات الوضع الخاصر) للعالم الجديد، ويبدو أن كانط نفسه لم يمنح مشروعه للسلام الدائم في ما يتعلق بالضيافة صفة الإطلاق، لإحالة مفهومه عن الضيافة إلى ما دعو ناه الوضع الخاص، ذلك لإقتضاء اتفاقات خاصة تبيح للأجنبي حق الضيافة، وزاد دريدا على واجب الضيافة أن لا يتناقض مع ضرورات الهوية الوطنية وهوية المواطنة في إطار أممية جديدة تفكيكي) مترابطة بين الأحياء في ما بينهم على وجه المعمورة من جهة، والإحياء والحيوانات م ن جهة ثانية وبين الأحياء والأموات من جهة ثالثة وبين الاحياء والذين سيولدون) من جهة رابعة [٣] وعلى وفق اتفاقات أصبحت ملحة لا لضرورتها المرحلية وإنما لانتشال الراهن، لا من خطر شبح الحرب الذي كان مبعثا لرعب كانط، ولا لهيمنة طبقة المستُغلين للمُستغلِين كما و اجهت الأممية الماركسية .

رب سائل يسال .. لم يربط مفهومه للأممية بمفهوم الضيافة؟، في حين اكتفت الماركسية بالدعوة للتضامن الإيديولوجي فحسب، هذا التساؤل على منهجيته قد لا يستغرق أهمية مفهوم الضيافة في الإستراتيجية الفلسفية للتفكيك، إذ ترتكز التفكيكية على منظو مة شاملة تستند على الغيرية والآخرية لاعتبارهما مكونات أساسية للذات، هذا إذا لم نقل أنهما الذات بالفعل، بعد تقويض مفاهيم الهوية الأرسطية الميتافيزيقية التي تعشش في مجمل الخطاب الغربي القديم والحديث والمعاصر سواء،ذلك ان قوانين فكر أرسطو الأساسية الهوية، وعد م التناقض، والثالث المرفوع) تقدم الثنائيات الضدية على ان الأول أصلا والثاني تابعا مشتقا ملحقة ، ومع مقولات الأصل والنسخة لا تقوم مع التفكيك قائمة للديمقراطية المستقبلية العالمية المأمولة، على ان مفهوم الهوية عند دريدا قد اتخذت أشكالا سردية انشطرت الى استم طانين : ديني من أبعاد إيمانية، باطنية وآيقونية، و جنس – لغوي ترتكز على حالات اللغة وعلاقتها بالجنسية الوطنية والممنوحة [٤].

ولعل مفهوم الهوية والاختلاف يحظى بمنزلة جوهرية في التفكيك نظرا لتجربة المعاناة الشخصية المثيرة لدريدا في هذا الصدد، كونه يهودي جزائر ي الأصل يجهل لغته الأصلية، ويكتب بالفرنسية، وفرنسي أسقطت عنه الجنسية الفرنسية حينا من الدهر ثم أعيدت إليه [٥]، ما اثر برؤيته لعدم تصور أممية عالمية لا تصلح أنظمتها في الضيافة وتحديد علاقتها مع المختلف الذي سيندلق في بوتقة أممية مختلف) واحدة، يمتزج فيها سر يل التضامن والاتحاد العالمي .

فالضيافة التفكيكية لا تحمل اشتراطا محددا بل هي خالصة، منفتحة، ومتاحة لمن لا ينتظر دعوة، منفتحة مسبقا لأي زائر غريب يظل عند وصوله غير معروف وغير متوقع . وهو ما يسميها دريدا ضيافة الزيارة [٦]، وهي تختلف عن الدعوة للزيارة التي تح دث عنها

كانط والتي تشترط الالتزام بالقواعد والمعايير الحياتية، والاتفاقات القومية والدولية، واللغة، إنْ لزم الأمر ، والثقافة، والنظام السياسي ربما [٧] .

لم يغب عن الوعي التفكيكي استحالة تطبيق الضيافة غير المشروطة عمليا، كما يدرك انه من المحال إدراجها في نسق معين، ولا يمكن ان يصبح بندا من بنود القانون او السياسة ولا يمكن لدولة ما أن تسجله في جملة قوانينها [٨] ، لكن في النهاية تبقى التفكيكية فلسفة معنية بالأساس في طرح سؤال يصوغ مفاهيم عامة، وصياغة المفاهيم العامة هذه بالذات، هي عمل فلسفي إبداعي محض، وظيفته صنع حي وات تجريبية اخرى، وحلول يربض الهدف الأخلاقي التنويري للتفكيك، اذ يفتش عن طرق لم تعبّد، في محترف مفاهيمي لمساحات في طور التكوين مؤجلة الوجود، مرجأة الأثر، في مشغل افتراضي يطرح أسئلة التعايش سويا، بوصف البشر أصدقا ، ومستقبل الجنس البشري باختلافاته المشتركة، ومثلها المصير على كوكبنا هذا .

الأصدقاء الأعداء وأممية الاعتراف الأخلاقي:

،، آه يا أصدقائي، لا يوجد صديق '' فينادي الرجل الحكيم الميت

' يا أعدائي، لا يوجد عدو '' ناديت الأحمق الحي [٩])

يستعير كارل شمث [١٠] ، ويمثل متن دريدا المعرفي في مفهوم الصداقة، صيغة العداوة في الحرب، لتسويغ وجود السياسي الذي لم يعد له، في الظاهر ، وجود بفقدان وجود العدو وبمعزل عن الحروب، ذلك ان غياب تشخيص العدو يؤدي الى فقدان السياسي، عليه سيكون هناك تعقيد كبير وتناقض اكبر في مواقف من يؤيدون هايدجر من جهة، وهو الممثل الفلسفي للنازية، وسواء ا ختلفنا ام اتفقنا على ذلك، وبين من يناوئون النازية نفسها، ويقف ليو شتراوس ** في مقدمة المعنيين في هذا الصدد، كونه يهودي لاذ بالولايات المتحدة الأمريكية جراء عداء النازية، في حين يعد نفسه التلميذ الوفي لتعاليم أستاذه هايدجر، وللتذكير فأن الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد قائمة بشكل جوهري على التفكير الشتراوسي المنبثق من التعقيد الذي ذكره شمث، او سياسة الفوضى المنظمة التي عبر عنها دريدا بصورة غير مباشرة .

وتختفي في طيات هذه المقاربة (مقاربة الأعداء / الأصدقاء) إستراتيجية ملهمة لكثير من فلاسفة السياسة المعاصرين، أمثال الأمريكي امارتيا سن *** الذي يقارب مفهوم العدالة مركزيا بموضوع الاحساس القوي بالظلم [١١] ، وكأن المقابل المتناقض او الضد، هو من يرسم

ملامح الهوية المفهومية، فلا نكاد نعرف ذواتنا إلا عبر عكسها في مرايا الآخر، وكأن هذه المقابلات الثنائية أصبحت عنوانات دلا لية لتشخيص صورة الهوية، ونعرف ان التفكيك وقف بحزم لنقض هذه الثنائيات وتقويضها، ليعترف بان العلاقة الضدية مع المقابلات إنما هي علاقة تزييف سياسي، هدفه السيطرة من طرف على طرف آخر، ضمن نسق المركز الغربي الميتافيز ؤ ، اذ يكشف دريدا ان شمث ينطلق من تشخيص العدو من ملاحظتين :

ا . الملاحظة الدينية، المنطلقة من مجال التعميم، من مجال الأمـ ، حيث لا يكون العدو منافسا او شريكا في صراع، او خصما مكروها من قبل شخص، إنما يظهر العدو من خلال جمهرة في معركة، قوم مقابل قوم في الفهم العام، لذلك لا يحتاج الكراهية في التعامل مع العد و، ومبدأ أحب عدوك) المسيحي واضحا للحث الى عدم وجود العدو السياسي في تلك الحقبة، إذا ما استثنينا الحروب الصليبية .

ا . الملاحظة الهيجلية : الذي يكون هيجل اول من وضع حدا حقبة تجنب الفلاسفة الطويلة لتفسير العدو، كتجنبهم للأمور السياسية، وكتجنب دريدا للسكوت عن الشيوعية في الحرب الباردة، وكتجنبه الحديث عن الدين قبل الاستعداد للحديث عنه كما ذكرنا في موضع سابق .

لقد قدم هيجل اول تعريف سياسي ثابت وانفعالي للحرب، للانتصار للبرجوازية الفردية، التي سيطرت مخيلتها على الذهنية الهيجلية [١] ، لاسيما في رؤيتها ا متعالية ضد لآخر انطلاقا من تعريف العدو على اساس انه يتخطى المختلف أخلاقيا الى المتعارض ايديولوجيا ، كون الأجانب افسدوا الحياة تماما . وافساد الحياة يلبسها الديالكتيك الهيجلي عنف النقيض الذي تخلقه الخصومة وإعطائها اكثر السمات تناقضا مع سماتنا واكثرها قدرة على استثارة ا عدوانيـ[٢] ، التي تسخر كل اجهزتها التبريرية لتأهيل الأجواء اللازمة لغرض شن الحرب وهنا يذكرنا فرويد بأن العلم هو الآخر ليس بمنأى عن التخلي عن حياديته المفترضة في سبيل تعزيز ودعم الذات، بعد اسناد كل ما يمكن ان يتصور من صفات سوء لهذا العدو الاجنبي [٣] .

اراد ش مث تعريف السياسي من خلال سلبية المعارضة المؤدية الى العدو، الامر الذي ماثل فعل نتيشه في معارضته التقاليد المسيحية والفضيلة في الحقبة الارسطية التي تنبعث بمفهومها من تعريف الصديق بأنه الروح الواحدة داخل جسدين ، ويبدو ان نوايا شمث واضحة في عزل المفهو م السياسي عن المفهوم الأخلاقي ، بيد انه يدرك تعقيد موضوع متشابك من ناحية ان الصداقة رباط يرتبط به مجموعة من الأفر > في الوقت نفسه التي تختص بالإنسان وحده من دون سواه من الإ ، اللهم الا تلك الصداقات التي تحمل سمة التفوق الخلاق ، او من الحيوا . ولكن لنوضح ما هي الصداقة الخلاقة التي تبطل الصداقة بين

الاله والبشر، عندها يستحضر دريدا مأثورا يقول: الصداقة الكاملة تحطم نفسها، وتعني في جوهرها التزام بمفهوم محدد يلزم الفرد بعمل الخير لاحد أصدقائه ليصبح الها، بيد ان ثلاثة أسباب يذكرها دريدا تمنعه من ان يتأله وهي: لا يوجد احتمالية للارتباط باله عن طريق الفضيلة، ولا يمكن ان يريد المرء ان يكون اله لصديق، لغياب مقياس المساواة بين الاله والانسان. السبب الثاني هو ان الصداقة تقود الى حب الاخر كما هو، وفقا للطبيعة البشرية، بادراكاتها المحدودة واحساساتها وانطباعتها التي تنا سب البشر فقط حيث لا يمكن للمرء ان يؤله الصديق، اما السبب الثالث، فهو راديكالي لان اله لا يحتاج الى اصدقاء على عكس البشر الذين بحاجة إلى الإيمان بالفضيلة، لكن الاله يؤمن بذاته وليس بشيء اخر [٤].

وبما ان الصداقة تشمل على الكثير من التعقيدات والتناقضات وابرزه ا في أي حقل يكمن تفصيلها المعنوي، الا انها تبقى فلسفة في الاعتراف لانها لا تخص نظام القيم او الاخلاق فقط وانما سياسة العلاقة بين الذات والآخر [٥]، وقد تفسر مرات عديدة على اساس المنفعة اما اذا استندت الصداقة الى المساواتية (Egalitarianism)، والعدالة التوزيعة، واحترام حقوق الانسان، فأنها تمنح امتيازا نضاليا من اجل حرية الانسان [٦].

ان التناقض الظاهري الذي توصمه جملة " آه يا اصدقائي، ليس من صديق " ليس غريبا على عمليات التفكيك فالحدود الملغاة بين زمنية حدث العبارتين التي تفصلهما فارزة مقتبسة يدل على التواء عتيق في الزمن طالما دل عليه دريدا واشار اليه، فالزمن خارج عن محاوره في جملة الشكوى الموجهة للأصدقاء وضدهم في آن، والتجربة، تجربة الصداقة، أصبحت محورا تتلاشى فيه حدود الزمن، تماما كشبح هاملت وشبح ماركس الذي يطل بزياراته من غير مناسبة زمنية، لان الزمن خارج محاوره . والبشر خارج حدود الدول السياسية تربطهم سياسات الصداقة تحت مظلة الأممية والتضامن. ان وقت الشكوى والانكار هو نفسه زمن اللجوء إلى الصديق المشتكى منه، كالمأثورات التي نستدعيها او تستدعينا في خطابنا، وطالما كان شأن المأثورات أحداث التواء وفجوة في الزمن تنفذ م ن خلاله للحضور وتتوجه نحو مستقبل مفتوح.

يطلق دريدا على هذا الالتواء الزمني اسم التواء الاختلافية او اللا تناظرية الذي يقودنا الى العودة عن السؤال الذي يبحث عن الاجابة، حيث تؤثر الإجابة عن السؤال في الصداقة ويقسمها دريدا نحويا الى ثلاثة اجابات: اجابة ل، اجابة في، واجابة امام، فالمرء يجيب نفسه او شيء ما او شخص ما او حدث ما او فكر ما أو نقاش ما، وأما: امام الاخرين، امام الآخر، والتشريع، والقانون، كرسي القضاء، ودائما ما يجيب الانسان نفسه حول: نفسه، او اهتمام احد ما، وحدث ما، ونقاش ما [٧]. وغالبا ما تتميز اجابات:

١. يجيب المرء ذاته في زمن المضارع البسيط، عبر الاسم الذي يؤمن له الحرية وتحمل المسؤولية، ان الاسم الشرعي والاسم الأسري والمكانة الاجتماعية تتطلب تحديد الصداقة، كما في لقاء او تعارف اقدم فيه نفسي بتقديم اسمي، الأمر الذي يقود الصداقة الى طريقها، با' تحاد، والعناق من خلال أسمائنا .

٢. لا يجيب المرء ذاته باسمه الخاص، فالاسم يركب ذاته من اجل الاخر، لان الاخر قد اختاره على سبيل المثال ما حصل عليه المرء من اسم بعد الولادة، لم يختره ولم يعرضه على مستوى التشريع، تماما مثل اثر علامة الختان في الجسد . وهنا تكون الذات اكثر استقلالية، بمعنى اخر اكثر حرية .

٣. اجابة اماد : التعبير أمام يشير الى الطريق نحو درجة قانونية تدعو الى الاختيار، امام القانون امام المحكمة والمحلفين، وفي تقديمه كممثل لسلطة شرعية لآخر، وممثل لجمهور أخلاقي وسياسي وقانوني، ضمن حدود الاحترام والمس ؤوليا[١٨].

في نقطة الاحترام يلتقي مرة اخرى دريدا مع كانط كون الاخير ربط الاحترام بالارادة الاخلاقية الخيرة، التي تنشد الحب كنقطة اتصال للمساواة والسعادة التي تنضم الى سياسة اخلاقية للصداقة العالميا ، لكن دريدا يشير الى صعوبات تعرقل طريق السعادة تبرز من داخل فكرة الصداقة ذاتها تأتي من الشخصية المتناقضة والتوازن غير المستقر للشعورين اللذين يقاومان جاذبية تدمج الحب والكراهية في مسافة وفسحة الاحترا[١٩].

ويوجه كانط مسار السعادة التي تنتجها الصداقة الى أخوة تحت الأب الكوني، ويخطو كانط بالصداقة نحو المجموع البشري الذي يجد تحديده في الأخلاق والسياسة والقانون، بمقابل الفردية الارسطية، في ذاتنا الأخرى ومقومات الصداقة التي تقتضي السر ، الخصوصية، وما يخفى ولا يقرأ، والأمر السياسي، والتجانس في الأفكار).

ان الفردية والعمومية في نموذجي كانط وارسطو، يطرحان قضيتين، فمن جهة ا ولى تبدو الصداقة اجنبية ومقاومة للعمومية وهذا ما لا يمكنه الكشف عن مواقف سياسية، ومن جهة اخرى، نعلم ان النقاشات الفلسفية الكبرى، لجميع الفلاسفة ومن بينهم ارسطو ايضا، سوف تربط الصداقة بصورة واضحة بالفضيلة والعدالة والعقل الخلاق والعقل السياسي[٢٠].

ويشك دريدا بالقانون الفلسفي ويتساءل عن إمكانية الهيمنة باسم الصداقة على أشكال العلاقات التي تشبه الصداقة كالتجارب الأنثوية والمثلية الجنسية، فإذا ما امتلك الصداقة تشريعا فما هو مستقبل الهيمنة التي يمكن ان ان تطال الأشكال الأخرى لسؤال الصداقة،

لاسيما وان دريدا يحيلنا الى أرسطو حينما يضع الصداقة فوق القانون والسياسة والعدالة،حينما يقول عندما يكون البشر اصدقاء فأنه تنتفي الحاجة الى للعدالة :

عندما يكون البشر اصدقاء لا حاجة للعدالة، فأنهم ان كانوا مطمئنين لأنفسهم مع مجرد الوجود، فهم ايضا يحتاجون الى صداقة، والتعبير العالي في العدالة التي تكون في صميم طبيعة العدالة [١].

كان أرسطو يدعو إلى ان تكون الصداقة فوق العدالة سياسيا وأخلاقيا ، وفي جميع أنماط الحكومات، حتى تظهر الصداقة أكثر شمولية من خلال علاقتها بالعدالة، لكن ينبغي الالتفات الى ان الصداقة السياسية طالما توجد في منفعة حتى لو سيقت في إطار قانوني وأخلاقي ويرى دريدا ان الثقافة السياسية الغربية مازالت عرضة لهذا التقابل بين قيمتي الأخلاق والمنفعة، وان ظهرت الأخيرة بشكل قوي منذ مي لي . كما ان الخطاب السياسي والأخلاقي الغربي يشوبه الاختلال في حسم قضاياه الأخلاقية والسياسية في علاقة الصداقة، فأنه ينقصه التحديد في ترسيم مفهوم الصداقة مع تعليق حا لتين استثنائ تين لا تعرف الانضمام تحت أي عنوان منها :

ا . العلاقة المثلية بين رجل ورجل، ضمن الأنموذج الديمقراطي، والوصايا العشرة .

ا . الاستثناء المؤنث في العلاقة بين الرجل والمرأة ضمن المفهوم النيتشوي، الذي يستبعد المرأة كونها غير قادرة عن الصداقة، لأنها لا تعرف الا الحب ، ويدعو دريدا الى استرداد هذا الأنموذج الى حضرة المعرفة بعد انتزاعه من التسييس، كما يتفهم نقد مفاهيم الصداقة المسيحية الرقيقة التي استبدلها زرادشت قيمها بقيم الو [٢].

ويؤمن دريدا ان سياسة الصداقة هي موقف مساندة للغير فهي لا تضع الحدود الثقافية والإقليمية في طريق تحقيق قيمة الصداقة، حيث نعرف ان أصدقاء دريدا كثر ، كأعدائه ومن مختلف الجنسيات والثقافات، فصداقة دريدا لا تعترف بالانتماء والانتساب الا على صعيد الهوية و التعريف [٣]، انها قبل كل شيء محو الحدود والاكراهات المشروطة، نحو وعي بالرهانات الحاضرة والآتية التي تخص مصير الغيرية والهوية معا، الصداقة تلغي الحسابات الضيقة لتضع شركاء التعارف امام القضايا التي تهدد مصير البشرية في هذا العالم المجنون .

ان مشروع الأممية الت فكيكية، القائمة على أسس الضيافة والصداقة، يغاير ويكمل ويحسن المشاريع النظرية سواء أكانت مشروعا كانطيا ، أو أمميا ماركسيا، ذلك ان مشروع

السلام العالمي الكانطي كان مقصورا على ردة فعل من هاجس الحروب الكونية المقبلة، من ناحية، ومن منطلق التعايش السلمي بين امة – دولة ودولة امة أخرى ، من ناحية أخرى في سبيل سلام دائم، في حين انطلق التجمع التضامني الاممي الشيوعي من التشكيلات الحزبية العمالية ذات الجذور الإيديولوجية اليسارية المشتركة،ضد هيمنة طبقة مستغلة وممتلكة لوسائل الانتاج، نحو اتحاد عمالي عالمي حزبي . وبين هذي وذلك يقوم المشروع الاممي الدريدي من المواطن بصفة المواطنة في العالم الى مجموع المواطنين في العالم ضد الهيمنة القطبية الواحدة التي أسفرت بعد استفرادها بإحكام قبضتها على العالم عن بروز كوارث تلوح في الأفق، وبات القلق والخشية تخيم على مزاج العالم الكئيب من مستقبل يبدو مثقلا بالمواجع الانسانية التي تحض الفلسفة بشكل عام والتفكيكية على وجه الخصوص باتخاذ مواقف حازمة وحقيقية وعاجلة لمجابهة اخطار العولمة الواحدية، ذات الجراح التي أمست واقع حال في جسد العالم إذ يوجزها دريدا بعشر ذ جراح :

١ . البطالة وتجويع الناس .

٢ . الا قصاء القسري للمنفيين بسبب التمييز العنصري والتعسف .

٣ . قطع الارزاق جراء الحروب الاقتصادية بين الدول المنضوية تحت لواء اوروبا وامريكا بلدان منافسة اخرى .

٤ . العجز في السيطرة على تناقضات السوق الليبرالية ومتصوراتها ومعاييرها في فرض تدخل الدول الراسمالية الى اي ميدان اقتصادي بداعي حماية استثماراتها او حماية الغربيين ضد اليد العاملة العالمية الرخيصة .

٥ . الديون وملحقاتها وما يترتب عليها من اثار افقار للمد ين وهيمنة واستلاب من جهة الدائن .

٦ . ازدهار تصنيع الاسلحة والمخدرات، التقليدية منها وذروة التقنية، بما فيها ا لاسلحة المدمرة الفتاكة، والاتجار والترويج لها وتوسع اسواقها وقيم التبادل بها، بشكل يدعو للفزع اذ يتعزز الشعور بعدم إمكانية احد، مهما بلغت قواه، من إيقاف تطورها او حتى الابطاء من هذا التوقف .

٧ . توسع انتشار الاسلحة الذرية، والبايولوجية، واسلحة الدمار الشامل ، مع غياب الرقابة الولية للسلع والانتاج، على الرغم من تعهدات الدول المصنعة لها في الوقت ذاته، بالحد من انتشارها .

١٠ الحروب الداخلية، الاهلية والعرقية والطائفية، الهادفة اما لانشقاق ما او حق تقرير مصير، بعد تراجع سيادة الدولة القومية في التقاليد السياسية لقديمة .

١١ تنامي سلطة مافيا المخدرات وغسيل الأموال القذرة، الى درجة تحكمها في الدول الرأسمالية مكونة جماعات للضغط .

١٢ شلل القانون الدولي ومؤسساته، والاقتصار اما على فرض عقوبات شكلية قد لا تؤثر اللهم الا في معاناة شعوب لا تمتلك قوت يومها، عن طريق تقديم م ساعدات عرضية لا ترقى الى مستوى حل المشكلة، ولا تؤثر في صنع فعل حقيقي يسهم في إنعاش آمال الإنسانية [٤٠] .

هوامش البحث:

١ دريدا، جاك وآخرون، ماذا عن غد، ت سلمان حرفوش، دار كنعان للدراسات والنشر ١ دمشق ٢٠٠٨، ص ١٤٩ .
٢ دريدا وآخرون، الدين في عالمنا، ت محمد الهلالي وآخرون، دار توبقال للنشر، ١ الدار البيضا ٢٠٠٤ ص ١٤ .
٣ دريدا، اطياف ماركس، ت منذر عياشي، دار الانماء الحضاري ٢ حلب ٢٠٠٦ ص ٧٧ .
٤ جان بيار اسكافر ، هكذ صاغت امريكا الاتحاد الاوروبي ، مدا ات غربية ، العد ١ خريف ٢٠٠٥ ص ٣٠ .
٥ ينظر دريدا و آخرون، ذهنية الارهاب، ت بسام حجار المركز الثقافي العربي ١ الدار البيضا ٢٠٠٣ ص ٧٨ .
٦ اطياف ماركس ص ٥١
٧ دولوز، جيل سياسات الرغبة ، تحرير احمد عبد الحليم عطية، دار الفارابي بيروت ١ ٢٠١١ ٢٥
٨ ماركس وانجلز، البيان الشيوعي، تقديم دونكر هرمان ، ت عصام امين دار الفارابي د ١ بيروت ٢٠٠٨، ص ٩٠
٩ ماذا عن غد مصدر سابق ص ١٦٧
١٠ البيان الشيوعي ص ٦٦
١١ كانط، مشروع السلام الدائم، ت عثمان امين، دار المدى للثقافة والنشر ٢٠٠٧ ؛ طبعة خاصة، ص ٣٠ .
١٢ ماذا عن غد ص ١٦٧
١٣ ماذا عن غد ص ١٧٩
١٤ كتابنا : التفكير السياسي في فلسفة جاك دريدا ، دار المحبة بيروت ١ ٢٠١١ ص ٣١
١٥ دريدا، جاك أحادية الآخر اللغوية، ت عمر مهيبل، منشورات الاختلاف الجزائر ١ ٢٠٠٨ ص ٤٢
١٦ دريدا، جاك، ما الذي حدث في ١١ سبتمبر ، ت صفاء فتحي المجلس الاعلى للثقافة القاهرة د ١ ٢٠٠٣ ص ١٤١
١٧ نفسه ص ١٤٠
١٨ نفسا ١٤١
19 the politics of friendship. American imago, (1993:fall) . pro-quest information and learning company p354 . .Derrida. Jacques
٢٠ سن، امارتيا، فكرة العدالة، ت : مازن جندلي، الدار العربية للعلوم ناشرون ١ بيروت ٢٠١٠ ص ٢٧ .
- * كارل شمث : أحد أهم فلاسفة السياسة الألمان في القرن العشرين .
- ** ليو شتراوس : فيلسوف أمريكي يهودي من أصل ألماني، يعده البعض الملهم لايدولوجيا

- المحافظين الجدد التي تسود داخل الحزب الجمهوري الأمريكي .
- *** امارتيا سن : مفكر سياسي هندي الأصل حائز على جائزة نوبل التذكارية في العلوم الاقتصادية لعمله على اقتصاديات الرفاه. وهو حاليا في جامعة لامونت توماس جورج وأستاذة الاقتصاد والفلسفة في جامعة هارفارد

21 .p356.357 . Derrida.op.cit.

٢٢ غيتون، جار ، الفكر والحرب تر : الهيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ١٩٨٥ ص ١٥ .

٢٣ فرويد، سيغموند،افكار لأزمنة الحرب والموت،تر سمير كرم،دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٨٦ ص ١ .

24 Derrida.op.cit.p361

٢٥ الزين، محمد شوقي، رسالة من جاك دريدا، كتابات معاصرة عد ١٥ ، مج ٤ ،شباط - اذا ٢٠٠٥ ص ١٠ .

26 Derrida.op.cit.p359
27 Derrida.op.cit.p387
p37928. Ibid
29 Derrida.op.cit,p380
30 Ibid,p382
31 .ibid .p383
Derrida.op.cit.p38432

٣٣ رسالة من جاك دريدا، مصدر سابق، ص ١ .
٣٤ اطياف ماركس ص ٥٦ - ١٦١ .

مصادر ومراجع:

١. دريدا، جاك وآخرون، ماذا عن غد، ت سلمان حرفوش، دار كنعان للدراسات والنشر، ط ١ دمشق ٢٠٠٨ .

٢. دريدا وآخرون، الدين في عالمنا، ت محمد الهلالي وآخرون، دار توبقال للنشر، ط ١ الدار البيضاء ٢٠٠٤ .

٣. دريدا، اطياف ماركس، ت منذر عياشي، دار الانماء الحضاري ط ٢ حلب ٢٠٠٦ .

٤. دريدا و آخرون، ذهنية الارهاب، ت بسام حجار المركز الثقافي العربي ط ١ الدار البيضاء ٢٠٠٣

٥. دريدا، جاك أحادية الآخر اللغوية، ت عمر مهيبل، منشورات الاختلاف الجزائر ط ١ ، ٢٠٠٨

٦. ريدا، جاك، ما الذي حدث في ١١ سبتمبر ، ت صفاء فتحي المجلس الاعلى للثقافة القاهرة د ا ٢٠٠٣ .

٧. دولوز، جيل سياسات الرغبا ، تحرير احمد عبد الحليم عطية، دار الفارابي بيروت ا ١ ٢٠١١ .

٨. ماركس وانجلز، البيان الشيوعي، تقديم دونكر هرمان ، ت عصام امين دار الفارابي د ١ بيروت ٢٠٠٨ ،

٩. بديوي، جاسم التفكير السياسي في فلسفة جاك دريدا ، دار المحبة بيروت ا ا ٢٠١١

١٠. سن، امارتيا، فكرة العدالة، ت : مازن جندلي، الدار العربية للعلوم ناشرون ا ١ بيروت ٢٠١٠ ص ٢٧ .

١١. غيتون، جاز ، الفكر والحرب تر : الهيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات وا شر بيروت، ١٩٨٥ .

١٢. كانط، مشروع السلام الدائم، ت عثمان امين دار المدى للثقافة والنشر ٢٠٠٧ طبعة خاصة .

١٣. فرويد، سيغموند،افكار لأزمنة الحرب والموت،تر سمير كرم،دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ٢ ١٩٨٦ ،

١٤. الزين، محمد شوقي، رسالة من جاك دريدا، كتابات معاصرة عد ٥٥ ، مج ٤ ،شباط - اذا ٢٠٠٥ .

15.the politics of friendship. American imago, (1993:fall) . pro-quest information and learning company p354 . .Derrida. Jacques

٦ - جان بيار اسكافر، هكذا صاغت امريكا الاتحاد الاوروبي، مدارات غربية، العد ١ خريف ٢٠٠٥ ،